«الآداب»: عدد خاص بالمقاومة الوطنية

«نريد أن نسمح لأنفسنا بمطالبة مثقفي وفناني الوطن وكافة الفعاليات الفكرية ان يشكّلوا الدرع الواقية ضد محاولات العدو الاسرائيلي تدمير الجانب المعنوي لأجيالنا وتدمير قيمنا وتشويه وعي شبيبة الوطن. إن دور مثقفي وفناني الوطن هو دور استثنائي في عملية تأهيل وتوجيه شعبنا كي يتمكن من خوض غمار هذه المرحلة التاريخية الخطرة من حياتنا...»

هذه الفقرة مقتبسة من نهاية البيان الأول لـ «جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية» في أواخر عام ١٩٨٢.

و «الآداب» التي حالت الظروف الأمنية في السنتين الماضيتين دون ان تواكب على صفحاتها حركة المقاومة البطلة، تفتح صدر صفحات **العدد القادم** لتضمّ إنتاج الأدباء والكتّاب، في الوطن العربي كلّه، من وحي هذه المقاومة العظيمة التي تنهض إشراقة أمل وفجر تحدٍّ لليل الهزائم العربية.

عامان على المقاومة الوطنية اللبنانية

تحيّة الى الجرح المقاتل

عندما حَمَلَتْهم انكسارات البحر إلى عواصم الشتات، أسرعت شركة أوجيه لبنان (السعودية/اللبنانية) تُزيل الأنقاض وتهدم الدُّشَمَ المُحَصنَّة في شوارع بيروت، لتسلّم الجيشَ اللبناني المواقع القتاليَّة، بحجة الاشراف بالتعاون مع القوات «المتعدّدة الجنسيّات» ــ على «أمنٍ» العاصمةِ والمخيمات.

واقتحَمَ الجيشُ المكاتِبَ الحزبيَّة ومنازِلَ الوطنيين فاعتَقَلهم وصادرَ سلاحهم. ثُمَّ قرَّرَ الاميركيون الانسحابَ قبلَ الموعِد المحدَّد: فهم مع لبنان سيّد حُرّ مستقل.. وضغطوا على الطليان والفرنسيين ليحذوا حذوهم. وكان آخر المنسحبين الفرنسيون صباح ١٤ أيلول.

في مساء اليومِ ذاته قُتِلَ بشير الجميل، فذُبِحَ من ذُبح في صبرا وشاتيلا. ونامَ شارون لَيْلَته قريرَ العيْن لأنّ ابن امرأةٍ واحداً لن يجرؤ بعد اليوم على تمزيقِ جُرحِهِ لينهض.

دخل جيش الدفاع بيروت، فتصدّى له سُكّانها في حربٍ غيرِ متكافئة، انتهت بسقوطِ المدينة. وبدأ بنزع ثيابها ــ سلاحها قطعةً قطعة، وباعتقالِ أبنائها في الشوارِع وعند كورنيش البحر، يَرَوْن إلى الأم الجريحةِ إلّا من بسمةِ الأمل!

فبيروت، صَدْرُ المقهورين الرحب، عرفت أنّه في ليلِ الاثنين الثلاثاء (٢١/٢٠ ايلول ٨٢) ستقوم مجموعةٌ من ابنائها بمهاجمة موقع تجمُّعٍ للعدو في محلّة الصَّنَائِع.. وفي اليوم التالي، طَالَعتنا الصحفُ في صفحاتِها الداخلية ببيانٍ خال من الادّعاء لأنّه لا يحمل إلّا الرَّصاص:

«ليل الاثنين الثلاثاء، هاجمت مجموعةٌ من قوات «جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية» جنودَ الاحتلال الاسرائيلي

في منطقةِ الصنائع، وذلك بالقنابل اليَدويَّة، فجَرَحت وقَتَلَت ما لا يقلُّ عن ثمانية جنود للعدو. وهُرِعت سيّاراتُ الاسعاف إلى مكانِ الحادث، فيما عادت المجموعة إلى أماكنها سالمة.. إنّ هذه العملية هي جزءٌ من نضالِ كُلِّ المقاتلين الوطنيين من أجلِ طردِ الاحتلال واجلائِهِ عن تُرابِ الوطن» (انتهى نَصُّ البيان الأوّل).

وتوالت العمليات ضِدَّ العدو قرب محطة ايوب، وكورنيش المزرعة، وفي ٢٤ أيلول، توجَّه مقاتِلٌ نحو مقهى الويمبي في شارع الحمراء. وببرودَةِ المُسَدَّسِ المُلامِس لِلَحْمِ أيلول الملتهب، صَوَّبَ رصاصَةً إلى ثلاثة جنودٍ اسرائيليين كانوا يشربون البيرة، فَقَتَلَ ضابطاً وجَرَحَ الآخَرَيْن.. وانسحب!

تردَّدت طلقاتُ النّار في أزقة المدينة وشوارِعِها، فأُصيبَ العدوُ بالهلَع وانتشروا تحسُباً لكُلِّ طارىء... فيما هُرِع الرجال نحو بيروت يغمسونَ قمصانَهم البيضاءَ النظيفة في ماءِ البحر يداوون بها آلام الجريحةِ، فتَتَّسِعُ لهم بسمتها لتغدو بحجم العرفان.

وكان يوم ٢٥ ايلول يوماً مُظلماً لجيش الدفاع: فقد تعرَّض لأربع هجمات في عائشة بكّار وكورنيش المزرعة، والكونكورد، والجناح، فاضطرّ في اليومِ التالي إلى إطلاق الاستغاثة من مكبرات الصوت:
«يا أهالي بيروت الكرام! يا أهالي بيروت الأعزّاء.. لا تُطلقوا النّار.. إنّا راحلون غداً..»

وتراجَعَ العدو عن العاصمة.. لكنَّ رصاصَ المقاومة أثبتَ أنَّ الوطنَ بأسرِهِ وعلى اختلافِ طوائِفِه أمينٌ على الرسالة التي أطلقتها «الجبهة» في بيانها الأوّل الصادر في بيروت.. فقد قذفت «عالية» بالأسلحة والقذائف باصاً اسرائيلياً في ٣ تشرين الأول وأردت ستةَ جنودٍ وجرِحت اثنيْن وعشرين (حسب البيان الاسرائيلي). وفجرّت بحمدون سيَّارةً مفخّخة فقتلت جُندياً وجرحت آخرين في أوّل عمليةٍ من نوعِها.

وتقع إحدى أكبر الكوارث في تاريخ (التساهال) في ١٢ تشرين الثاني ٨٢ حيث يهتزُّ مقرُّ الحاكم العسكري الاسرائيلي في صور، فيُقتل ستة وسبعون جُندياً ويُصاب ثمانية وعشرون آخرون. لكنّ العدو ما يزال يحاول تجهيلَ الفاعل، فاذا الحادث «ناتجٌ عن انفجار قارورة غاز» (الاذاعة الاسرائيلية)؛ أو هو «نتيجةَ خَلَل في البَناء، وأن علينا محاكمة مقاولي البناء بتُهمة الأهمال!» (ايتان) إلّا أنَّ منطق التجهيلِ هذا ما لبث أن تهاوى في معركتيْن أساسيتيْن الاولى في (عرمون) حيثُ اشتَبَكَ المقاتلون الوطنيّون في ٧ كانون مع الصهاينة لأكثر من ثُلثَ ساعة فأُصيبَ واحدٌ وعشرون جندياً حسب ادعاءات العدو.. والثانية في وادي الزينة (شمالي صيدا) حين هاجم رجالُ المقاومة قافلةً اسرائيلية في ١٣ آذار ١٩٨٣ واشتبكوا مع عناصِرها فقتَلوا وجَرَحوا اثني عشر جُندياً.

وكانَ من الطبيعي أن تشحَذَ عمليات المقاومة العسكريّة هِمَّة أهالي الأراضي اللبنانيَّة المُحتَلَّة بعدَ فترةٍ عاشوها في قنوطٍ واحباط عقب الاجتياح الاسرائيلي مُباشرَةً. لكنَّ النَضال المُسَلَّح لم يكن إلّا عاملًا ــ وهو عامل هام جداً على أي حال ــ في استنهاضِ الانتفاضات التي ستشهدها الأراضي المُحتَلة. فهناك عوامل أخرى لا تقلّ أهميَّة أبرزها: مَخْزُونُ الشعب اللبناني (والجنوبي خاصةً) من العداء للصهيونية (والذي نمّاه نشاطُ القوى الوطنية والمقاومة الفلسطينية والفعاليات الدينية)؛ وصَلابةُ المواقِفِ التاريخية في وجه المُستعمِر (ولنا في انتفاضَةِ صيدا ضد ارتحششتا الثالث واحراقها سنة ٣٤٤ ق.م، وصمود صور في وجه حِصار الاسكندرية سبعة شهور سنة ٣٣٢ ق.م، مثالان ناصعان)؛ وأخيراً سياسةُ التعسُّفِ التي جَابَه بها العدو الصهيوني المواطنين، ولا سيّما عبر الاعتقالات، وإغلاق المتاجِر، وإحراق البساتين، وحرمان صيّادي السمك من الابحار في عرض البحر، وعدم مراعاة المشاعر الدينيّة المتأصّلة في النفوس، الى ما هنالك من ممارسات لا نزال نشهدها حتى اليوم.

بترابُط العسكري، بالتُراثي، بالحاضر، نستطيع أن «نَفْهَمَ» حركة الانتفاضة التي بدأت مع السكسكيّة وراشيا الوادي وعين الحلوة وصولًا الى صيدا وبَيْصور، لتبْلُغَ ذروتِها مع اعتقال الشيخ راغب حرب في جبشيت (آذار ٨٣) واعتصام البلدة ومواجهتها العدو طيلة سبعة عشر يوماً.

وبدورها وجدت «جبهة المقاومة الوطنيّة اللبنانيّة» في هذا الموقف الشعبيّ العارم ضد العدو وعملائه قدراً أكبَرَ

وامكانياتٍ أكثر في العمل العسكري.. وكان الهجوم الذي شنَّه رجالُ المقاومة على دورية للعدو في وادي الزينة في (٢٩ نيسان ٨٣) المحطَّة الفاصلة التي اعترَف فيها أن مواجهته ليست مع فريقٍ مُقاتِلٍ بل مع «سُكَّانِ الأرضِ المُحتَلَّة». فقد ذُكر أنَّ ثلاثَة من المهاجمين أُصيبوا بجراح بعد اشتباكهم مع الجنود الاسرائيليين واصابة اثني عشر عسكرياً منهم، لكنَّ العدو لم يستطع القبض على الجَرْحى بسبب مساعَدةَ الأهالي لهم على الاختفاء والفرار.

في مُقابل موقف الجماهير الشعبيّة التي احتضنت حركة المقاومة، أو انخرطت في صفوفها، نجد السُّلطَة اللبنانيّة ــ في اطار اتفاق ١٧ أيار الذليل ــ تعمد في حزيران ٨٣ الى اعتقال مفجّري السيَّارة المفخخّة قُرب غاليري سمعان والتي أودت بحياة ثلاثة جنود وجرح اثنيْن آخرين حسب البيان الاسرائيلي...

وكان موقف المُقاومة الوطنيّة حاسماً من قضيّة الاتفاق: فقد نَفَّذت الجبهة ثلاثة وخمسين هجوماً في «شهر الاتفاق»، فيما كانَ طُلَّاب مهنيّة جبل عامل في صور يتَصدوّن لقوةٍ اسرائيلية اقحمت المؤسسة فيُستشهَدُ الطالب حسن مشيمش (١٤ عاماً) ويُجرَحُ تِسْعَةٌ من رفاقه.

وفي صيف ١٩٨٣، بدأ المجهود النّضالي يؤتي ثمارَه: فقد انسحب العدّو من منطقتيْ الشوف وعاليه. ومهما قيل في أسبابِ هذا الانسحاب، فإنّ الثابتَ هو أنّ جنود جيش الدفاع قد تعرَّضوا في منطقة الجبل لأكثر من مئة هجوم، مِمّا أنذرهم بسقوط منطق «تحييد طائفةٍ» أو أخرى في عملية الصراع العربي ــ الاسرائيلي.

صارت المقاومة عملًا يومياً كالأكلِ والشُّربِ والتنفُّس، وأضحى كُلُّ ما في الجنوبِ والبقاع الغربي وراشيا موتاً للعدو أحمر: فكُلُّ سيَّارةٍ مفخَّخةٌ بالقوّة لا سيَّما بعد حادث تدمير مَقَرِّ الحاكِم العسكري في صور ومقتل تسعة وعشرين جُندياً من جنود الاحتلال (٨٣/١١/٤)؛ وتَحوّل كُلُّ فتى في عينِ العدوّ إلى نزيه قبرصلي يواجه العدو بقنبلةٍ فيستشهد (٨٤/١/١٨).. و «تبركنت» الأرضُ تحت آليات العدّو حتى بتنا نرى العبوات تنفجر في أمكنةٍ مختلفة وفي أوقاتٍ مُتقاربة على خطّ سير القوافل العدوّة (٤ آذار ١٩٨٤).. حتى فاكهةُ النبطية خبّأت لجنودِ العدو قنبلةً موقوتةً.. ولم تكن «المارلبورو» الجنوبيَّة أقلّ سخطاً وانفجاراً.

في ٥ آذار ١٩٨٤، كان موعِدُ المقاومة الوطنية مع نصرٍ بارز: فقد أُلغي اتفاق ١٧ أيار، وتشابكت أيدي المقاتلين في المناطق المحتلة بأيدي رفاقهم في بيروت والضاحية والجبل.

التحرير والاستقلال: فكانت مواجهة جبشيت الخارقة لاليّات العدّو وجنوده بالزيْت المغلي والحجارةِ والعصي (٢٨ آذار ٨٤)؛ وحدث تطوُّرٌ نوعيٌّ آخر في العمل العسكري حين أسقطَ مقاتِلٌ وطني في الزهراني طائِرَةً مروحيَّة بصاروخ (سام ٧) في عملية «هي الأجرأ للمُقاومة الوطنية منذ انطلاقتها» كما قالت وكالةُ الانباء الدوليَّة (١٣ حزيران) وبعد ثلاثة أيام يفجّر بلال فحص سيّارتَه المفخخة فيستشهد، ويقتل ويجرح العشرات.

وتطولُ السلسلة ويلوحُ النّصر، لكنَّ الثَّغرات لا تزالُ موجودة، وهذا شيءٌ طبيعي بالنسبة لعمر المقاوَمة الفتيّ.. فالتنسيقُ بين القوى السياسية الفاعلة في الأراضي المحتلة لا يزالُ ضعيفاً رغم قيام «الجبهة»؛ وحركة «أنصار» الجبهة ــ بالتالي ــ تحتاجُ الى وحدةٍ حقيقيّة وصندوق مالٍ واحد لأنّ قيام حركة «أنصار» من ناحية، و «لجان دعم» من ناحية ثانية، و «جبهة مساندَة» من ناحيةٍ ثالثة، يعوق التوصّل الى هدف التحريرِ المنشود.. فإن جبهة المقاومة الوطنية هي في نهاية المطاف تجمُّع لكل القوى والتيارات الوطنيَّة التي تناضِل للتحرير بغَضّ النَّظَرِ عن انتمائها الطائفي والايديولوجي.

إنّ الجنوب والبقاع الغربي وراشيا تخوض الآن معركة الحياة والعزّة القوميّة مع عدو الأمة العربيَّة وعدو التقدُّمِ والسّلام.. إنّها معركةُ جميع التقدميين ضد الصهيونية، ولكن الأهم من ذلك انها حربٌ ضد التطبيع والاستسلام أمام جبروتِ الدولار والآلة الجهنَّميّة. ومن جَحيم الجنوب المشتَعل، تشُقُّ يَسار أحمد مروة، الشهيَدة الأولى لجبهةِ المقاومة الوطنية اللبنانية، الطريق إلينا، حاملةً جُرحَها ينزف كرامةً، وتصرخ في وجوهنا الخجلى «إنّنا لا نزالُ نُقاتل!».

سماح إدريس